المحاضرة الرابعة عشر: إختيار مصدر من مصادر تاريخ الجزائر الحديث

عنوان المصدر:الجزائر في 1781 مذكرات القنصل سيزار فيليب فالييز

L'ALGERIE EN 1781 Mémoire du Consul C. Ph. Valliére

هدف المحاضرة 14: أن يتعرف الطالب على مصدر القنصل الفرنسي سيزار فيليب فالييز، الذي كتب عن الجزائر مذكرات في غاية الأهمية بين 1779 و1781، يحلل محتوى هذا المصدر وينقده

التعريف بالمؤلف: ولد سيزار فيليب فالييز بتاريخ 13 أكتوبر سنة 1756 من أب هو جين لويس فيليب وأم هي هيربات فاشير، من عائلة شريفة كانت تسكن مقاطعة البروفانس، وقد قدمت هذه العائلة العديد من القناصل والذين عملوا في الشرق وفي شمال إفريقيا لصالح فرنسا.[154]

وبحكم أن عم سيزار فيليب فالييز كان دبلوماسيا وتفاوض مع الأتراك في الجزائر بعد حملة الكونت أوريلي الإسباني على الجزائر سنة 1775 [155]، فقد قربه منه ومنحه منصبا مهما في القنصلية الفرنسية، وهو كاتبه وسكريتيره الخاص، ليتمرس فيه لمدة ناهزت 17 شهرا، بعدها رقي إلى رتبة نائب قنصل في مدينة الجزائر بتاريخ 28 جانفي 1779، وحول بعدها إلى طرابلس في شمال إفريقيا بتاريخ 02 سبتمبر 1781، وأثناء هذا التحول قدم سيزار فيليب فالييز تقريره عن مدينة الجزائر على شكل مذكرات شاهد عيان للعديد من الأحداث والوقائع.[156]

تفضل الأستاذ لوسيان شايو بتقديم هذا التأليف وعلق عليه، كما أضاف له نبذة عن حياة سيزار فيليب فالييز، وطبع بطولون في سنة 1974، وفي اعتقادنا المتواضع أن هذه المذكرات تحمل في طياتها آراء دبلوماسي خبير ومحنك لا تقل أهمية عما ذكر في مصادر أخرى.

قدم فالييز ملاحظاته العديدة وانطباعاته المختلفة عن الجزائر في تأليف لم يتجاوز المائة صفحة، تناول فيه الكثير من القضايا والتي نراها مناسبة ومهمة لذكرها، دون أن يهمل جانب العلاقات السياسية الخارجية للجزائر مع الدول، وفي كل العناصر التي ذكرها لا يزيد في معلوماته وكتابته عن صفحة واحدة لكل عنصر وهي كالآتي [157]:

-مدينة الجزائر –قصر الداي

-حكومة الجزائر

-انتخاب الداي

-المؤامرات

-وزراء وضباط الإيالة

-الديوان

-الباشا

-الشعب

-الذهنيات والتقاليد المختلفة للسكان

-اللغات [158]

-تقسيم مملكة الجزائر

-الشرطة- الشواش الخضر

-سياسة الأتراك تجاه الموريين

-مستشفى مدينة الجزائر

-دخول البايات إلى الجزائر

-قوات مملكة الجزائر في وقت السلم وفي وقت الحرب-أجرة العساكر

-طريقة معالجة القضايا مع الجزائريين

-إشهار

-إنتاج مملكة الجزائر-الزراعة

-التربية-المدارس

-الزنوج

-الرحلة إلى البقاع المقدسة (الحج)

-الدين-التسامح[159]-السحر-المرابطون-المساجد-الجنائز-المقابر

-مكة

-رمضان- العيد

-مسيحي وجد برفقة مسلمة

-الزواج

-النساء

-المجندون

-الحصون

البحرية

-سلاح القرصنة

-صناعة السفن

-المالية

-المهتدين

-الحمامات

-الأمم التي في سلم مع الجزائر(فرنسا- انجلترا- الدانمرك-السويد- هولندا- جمهورية البندقية)

-ملاحظة

-القناصل

-الأمم التي في حرب مع الجزائر

-الغابات

-مهمة فرنسا

-الأسرى-وهران

-القيصريات أو الثكنات

-الاستيلاء على تونس

-التعذيب

-العدالة

-مستشفى اسبانيا

-الأسرى في البحر

-التجارة

-الشركة الملكية الإفريقية[160]

-حملات الاسبانيين والدانمركيين ضد الجزائر

-الورشات(المعامل)

-الترجمان

-الحيوانات الأليفة-الدواب الضارة(المفترسة)

-الفنون والعلوم

-سرور الفتيات المسلمات

-المرفأ والميناء

-المناخ-الرياح المنتشرة

نقد المصدر: يبدو أن المواضيع التي تناولها القنصل الفرنسي سيزار فيليب فالبير عن الجزائر متنوعة ومتعددة وفي مجالات مختلفة، غير أن الاقتباس من هذا المصدر يتطلب الحيطة والحذر، خصوصا إذ ما تعلق الأمر عن تلك الأحكام المسبقة لكل ما هو تركي وإسلامي في آن واحد، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن نضع في الحسبان بأنه رجل مسيحي ينقل تقريرا لسلطات بلاده عن وضعية الجزائر في تلك الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر، والتي شابها ذاك الصراع مع العالم المسيحي، حيث سجلنا بعض المصطلحات الازدرائية والأحكام القاسية والتي لا تخلو هي الأخرى من عقد التفوق والاستعلاء.

هوامش وإحالات المحاضرة الرابعة عشر:

(154)-C .Ph. Valliére, op.cit., p VI.

(155)-Général Félix Géronimo Buch, « **EXPEDITION DU CONTE O'REILLY CONTRE ALGER EN 1775 »**, in R.A, N09, 1865, pp39-43.

-الطاهرتومي، **"حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775"**، الحوار المتوسطي، العدد 13-14، المجلد 2016، ص ص 252-278.

(156)-C.Ph. Valliére, op.cit, pVII.

(157)-ibid, Tables des Matieres.

(158)- تقر العديد من المصادر بوجود ثلاث لغات في الجزائر خلال العهد العثماني، أولها اللغة التركية لغة الإدارة والأقلية التركية المقيمة في البلاد، ثانيها هي اللغة العربية لغة الأغلبية الساكنة في البلاد وثالثها هي اللغة الفرنكية لغة الأسرى والعبيد.

(159)-عثرنا في المصادر الأجنبية على مبدأ مهم جدا كان مطبقا في الجزائر خلال العهد العثماني، وهو مبدأ التسامح الديني، حيث أن المسحيين واليهود تمتعوا بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، وكانت لديهم كنائسهم ومعابدهم الخاصة.

(160)-لقد أنشأت هذه الشركة بتاريخ1471/2/22 بظهير ملكي صدر بنفس التاريخ جاء في مقدمته:" لقد أردنا أن ننمي تجارتنا في إفريقيا، ونوفر الرخاء لرعايانا فقررنا أن نعطي لأصحاب الشركة الجديدة كل الوسائل التي تساعدهم على تطوير العمليات التجارية، وذلك إما أن نقدم لهم رؤوس الأموال الضرورية أو غيرها من الهبات التي عزمنا على توفيرها لهم، أو بأن نجعلهم يحظون بالحماية ويتمتعون بمختلف الصلاحيات والامتيازات". للمزيد ينظر: محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص195.

خاتمة:

من خلال ما تقدم نستنتج أن مصادر تاريخ الجزائر الحديث متنوعة ومتعددة، وهي التي قدمت المعلومة والخبر التاريخي لأول مرة، بحكم أن صاحبها شاهد الحدث، أو شارك فيه أو عاصره، بينما المراجع هي التي تأخذ معارفها ومعلوماتها من المصادر.

تنوعت مصادر تاريخ الجزائر الحديث بتنوع مجالات الحياة، ونظرا لطول المدة التاريخية للفترة الحديثة فقد كانت مصادر تاريخ الجزائر الحديث كثيرة وعديدة، وهي بذلك تتيح لنا فرصة التعرف على الحدث التاريخي، وبنائه بناء تاريخيا حقيقيا كما وقع، وهذا هو دور المؤرخ النزيه. (التعرف على الحقيقة لا غير).

لا تتأتى معرفة الحقيقة التاريخية إلا بمقارنة معلومات ومعارف المصادر بعضها ببعض، وبالتحقق والتمحيص والدراسة المتأنية، ومن خلالها نستطيع تصور الحدث وكيفية تشكل الواقعة، وبالتالي نزيل اللبس ونبعد الأوهام والتزوير.

وإذا كان المصدر هو أول من يقدم المعلومة، هذا لا ينفي بأنه صحيح فيما قدم، وللإشارة أيضا أنه تتشابك الآراء والمواقف حول بعض القضايا التاريخية في الفترة الحديثة، والتي عادة ما تضع الطالب والباحث في مفترق طرق على حد سواء، ومن هنا تبنى الآراء العلمية الصحيحة والنظرة الثاقبة، وتوزن الأحداث بميزان الحق والإنصاف.

وما يجب التنويه به أن تاريخ الجزائر الحديث تعرض لكثير من التشويه والتعاليق السيئة من جهات عدة، ولعل في مقدمتها الكتابات الأجنبية -الاستشراقية- التي خدمت الاستعمار والأطراف المعادية للإسلام والمسلمين، ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننبه لهذا الأمر الخطير.

وفي الختام نأمل أن تكون هذه المحاضرات التي انتقينا منها بعض مصادر تاريخ الجزائر الحديث في مجالات كثيرة، واستنبطنا أهميتها وقيمتها العلمية والتاريخية ذات فائدة جليلة للطلبة والباحثين على حد سواء، وأن يجدوا فيها ضالتهم ومبتغاهم في مجال البحث العلمي، والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل.